المحسنات البديعية
في ديوان ابن الوردي
(ت : ٧٤٩هـ)

Al-Muhsinsat Al-Badi'iyah in Ibn Al-Wardi's Diwan

م . م علاء عبد الحسين كاظم السويطي
alswytyla137@gmail.com

ملخص البحث باللغة العربية

يسعى البحث إلى بيان المحسن البديعي وقد هيمنت على مساحة غير قليلة في ديوانه واظهر الجناس وظيفة صوتية ودلالية في شعره وكان انتشار الجناس غير التام اكثر من انتشار التام وتأتي الصورة التضادية بصورة واضحة بعد الجناس ولهذا الجمع من التضادات أهمية لتكثيف المعنى وبعد ذلك لجأ الى الاقتباس والتضمين ليكونا رافدًا في إثراء لغته وافكاره ومعانيه التي تناولها في شعره .

* * *

mulakhas albahth biallughat alearabiat :

yaseaa albahth ‘iilaa bayan almuhsin albadiei waqad haymanat ealaa misahat ghayr qalilat fi diwanih wazahar aljinas wazifatan sawtiatan wadalaliatan fi shierih wakan aintishar aljinas ghayr altaami akthur min aintishar altaami watati alsuwrat altadadiat bisurat wadihat baed aljinas walihadha aljame min altadadat ‘ahamiyatan litakthif almaenaa wabaed dhalik laja ala alaiqtibas waltadmin liakuna rafdan fi ‘iithra’ lughatih wafkarih wamaeanih alati tanawalaha fi shierih .

* * *

نظرة في حياة الشاعر

ابن الوردي هو عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري زين الدين بن الوردي الفقيه الشافعي الشاعر المشهور نشأ بحلب وتفقه بها ففاق الاقران[١]وهو شاعر أديب مؤرخ ولد في معرة النعمان (بسورية)وولي القضاء بمنبج[٢] وكان يفتخر باتصال نسبه إلى أبي بكر الصديق(رض) يذكره في اشعاره فيقول[٣] :

مع َ أنـــي أحَـــمـــدُ الـــلّـــهَ علـى

نـسـبـي إذْ بـــأبـــي بـكـــرِ اتـصـلْ

ولـد ابـن الـــوردي سـنـة إحـــدى وتـسـعـين وستمائة(٦٩١هـ) بمعرة النعمان (بسورية) ومنها جاءت إليه نسبة المعري[٤]، وتوفي في السابع عشر ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة (٧٤٩هـــ)[٥] وهـو فـي عـقـد الـسـتـيـن[٦] بعد أن اصيب بمرض الطاعون[٧]

بعد ان عمل فيه مقامة سماها (النبا في الوبا) ملكت ديوان شعره في مجلد لطيف[٨]

تلقى ابن الوردي علومه في اصقا ع مختلفة في الشام منها: حماة وحلب ودمشق فكان ((إماماً بارعاً في الفقه والنحو والادب ، متفننا في العلم ، ونظمه في الذروة العليا والطبقة القصوى))[٩] حتى قيل عنه : ((احد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه تفنن في علومه واجاد في منثوره ومنظومه)) [١٠]

وقال عنه الصفدي : (شعره أسحر من عيون الغيد ، وأبهى من الوجنات ذوات التوريد)[١١]

وقال عنه السبكي : (شعره أحلى من السكر المكرر وأغلى من الجوهر)[١٢]

وقال أبن حجر ايضاً : (وأقسم بالله لم ينظم أحد بعده الفقه إلا وقصر دونه)[١٣]

وقال عنه آخرون : (كان الشيخ سراج الدين عمر بن الـوردي رجـلاً صالـحاً كثير الخيرات حسن الخلق سيد شعراء عصره جمع في شعره بين الحلاوة والطلاوة والجزالة له مقام عظيم

تـوطـئـة (الـبـديـع) هـو فـن بـلاغـي يـتـنـاول المحسنات اللفظية والمعنوية ويعد من الفنون

(١) الـدرر الكـامنة في أعـيـان الـمائة الثامنة ،ابـن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢ه) المحقق : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند،ط٢، ١٩٧٢م، ٢٢٩/٤ .

(٢) الأعلام ، خير الدين الزركلي،(ت:١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين،ط٢٠٠٢،١٥، ٦٧/٥ .

(٣) الديوان:٤٣٧ .

(٤) الأعلام، ٦٧/٥ .

(٥) بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة، ٢٢٧/٢ .

(٦) فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين الصفدي (ت : ٧٦٤هـ) تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ط١ ، ٣ / ١٦٠ .

(٧) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد حلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢، ١٤١٣ه، ٣٧٤/١٠ .

(٨) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٢٢٩/٤ .

(٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ٣٦٥/٢.

(١٠) أعيان العصر واعوان النصر : ٦٧٧/٣.

(١١) المصدر نفسه، ٨/ ٢٧٦ .

(١٢) المصدر نفسه، ٨/ ٢٧٦ .

(١٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٤/ ٢٢٩ .

البلاغية المؤثرة التي تضفي على النص الأدبي دلالات إيحائية مختلفة تتأتى من استثمار الشعراء لأساليب البديع المختلفة وقد يؤدي ذلك إلى خلق نوع من الإحساس بالمتعة والجمال في نفس المتلقي الباحث عن الفن والجمال ، ويعد الجاحظ من أوائل الذين أشاروا الى مصطلح البديع وقسمه الى خمسة وثلاثين فصلاً[١]. وقد عرفه القزويني بقوله : (هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة)[٢]. إلا إنّ أول من دون مصطلح البديع وحمل في طياته معنى التجديد منذ نشأته الاولى المتمثلة بالشاعر العباسي أبن المعتز (ت : ٢٦٩ هـ) الذي وضع له اول كتاب يحمل أسم البديع ، إذ جعل البديع خمسة فنون وهي (الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على صدورها والمذهب الكلامي)[٣] وجاء صفي الدين الحلي (ت : ٧٥٠هـ) ببديعيته التي تحمل في طياتها جميع فنون البديع في كل بيت شعري ، أفرد للجناس خمسة أبيات حتى بلغ عنده البديع مائة وخمسة وأربعين محسناً بديعياً[٤] وسأتناول هذه الفنون بحسب هيمنتها على نص الشاعر وغلبتها على غيرها وبحسب الاحصاء للأبيات وجدت الجناس والطباق والتضمين والاقتباس والتورية كانت هي الاكثر في شعره ونثره.

* * *

(١) ينظر : الصناعتين ، ٢٦٨/١، وينظر : فنون بلاغية (البيان –البديع) ، د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٥م ، ١٩٨ .

(٢) الإيضاح : ٤٧٧ ، والتلخيص ، ٣٤٧ .

(٣) البديع : عبدالله بن المعتز (ت : ٥٢٩٦) نشر وتعليق ، اغناطيوس كراتشوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، ٥٨ .

(٤) ينظر : علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية , بيروت ، ١٩٨٥م ، ٥٢-٥٣ .

المبحث الأول
(الجناس)

لغةً : الجنس الضرب من كل شيءٍ ، والجنس أعم من النوع ومنه المجانسة والتجنيس ويقال : هذا يجانس هذا أي يشاكله(١).

اصطلاحا : (تشابه في النطق مع اختلافهما في المعنى ، وهو إما تام اتفق اللفظان في عدد الحروف ونوعها وشكلها وترتيبها ، وإما غير تام ، إن اختلف اللفظان في واحد من هذه الأربعة)(٢).

الجناس التام :

(هو ان يكون ركناه متفقين لفظاً مختلفين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما سواء أكان أسمين أو فعلين أو من أسم وفعل أو اسم أو فعل وحرف فإن كان من نوع واحد سمي مماثلاً)(٣).

ولهذا النوع حضور مشهود في ديوان ابن الوردي وقد حقق من خلاله دلالات صوتية واضحة من ذلك يقول:(٤)

أيا حاجبَ السلطانِ زانكَ حاجب
وأغناك في الهيجاء عن قوس حاجب حاجب

إنه يجانس بين (حاجبَ ، حاجبٌ ، حاجبِ) ومعناه في المواطن الثلاثة: حَجَبة. وحِجاب الجَوْف: جِلْدةٌ تَحْجُبُ بينَ الفُؤاد وسائر البطن. والحاجب: عظم العَيْن من فَوق يَستُرُه بشَعْره ولحمه ، وهذا ما يسمى بالجناس التام المتماثل لأنه متكون من حروف متشابهة من حيث نوع الحروف والحركات ومتساوية من حيث العدد ، فضلاً عن ذلك فإن تجاور الألفاظ له دلالة معنوية تدل على رغبة الشاعر في التغزل بحبيبته والهيام بها فضلاً عن البنية الموسيقية تكشف عن فاعليتها إذ لا يخفى ما لحرف الباء من تأثير وهو حرف انفجاري شفوي(٥).ويقول ايضاً(٦)

بايعْ وتابعْ واطعْ واصغ لهْم
وخلّهم في حلّهم ونقْضهمْ
ودارهم في دارهم وحيهم
في حيَّهم وأرضِهم في أرضِهمْ

أحياناً تتبين بعض النصوص التي يعتمد فيها أبن الوردي على أكثر من نوع من أنواع الجناس ، وهذا بدوره يشكل تصاعداً إيقاعياً يخلق نمطاً من التفاعل عند المتلقي ن فضلاً عن الدلالة المعنوية الناتجة عن ذلك ، إذ مازج

(١) لسان العرب : ٦/ ٤٣ .
(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٧٨ .
(٣) جنان الجناس في علم البديع : صلاح الدين الصفدي ، مطبعة الجوائب قسطنطينية ، ط١ ١٩٩٧م ، ٢٠ .، وينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين المدني (ت: ١١١٩هظ) (د-ت) ،١/ ٢٥ .
(٤) الديوان : ١٩١ .
(٥) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مطبعة النهضة ، مصر ، ٢٤ .
(٦) الديوان : ٢٦٥ .

الشاعر بين الجناس المصحف[١] الحاصل بين الالفاظ (بايع ، تابع) و(اطع ، اصغ) و (خلهم، حلهم) وفي البيت الثاني جانس الشاعر بين الألفاظ (دارهم ، دارهم) و (حيهم ، حيهم) و (أرضهم ، أرضهم) وهذا ما يسمى بالجناس التام وبهذا الحشد التجانسي تمكن الشاعر من إدخال المتعة في نفوس السامعين مع التلذذ بتلك التكرارات والتوازن الموسيقي أو ما يسمى بالجناس المرصع لوجود الترصيع ويقول[٢]

قد عمَّ خالك حسْناً
في اللونِ يحكي بلا لا
نعمْ نعم أنت سؤلي
فلا تجبنْي بلا لا
جفني غريق وقلبي
لا يستطيع بِلا لا
لأ لأءُ وجهك يغني
أن يحرسوك بلا لا

فقد ترددت كلمة (بلالا) في نهاية كل بيت بالحروف نفسها وعددها وشكلها وترتيبها وأختلف معناها في كل مرة ففي الأولى يصف خال أحد الاشخاص مستحضراً شخصية الصحابي الجليل (بلال بن رباح) فلون ذلك الخال أشبه ما يكون بلون بشرة ذلك الصحابي واراد بذلك بيان شدة سواده ، بينما تعني الكلمة الثانية حرف نفي مكرر وفي البيت الثالث البلال الذي يصيب الحلق من الماء وفي الرابع تعني (لا إله إلا الله) فحقق الشاعر بذلك افتراقا دلالياً واضحاً وخلق نوعاً من التناسق الموسيقي منح النص تنغيماً صوتياً أفاد في زيادة المعنى الذي أراد أن يبرزه . ويقول[٣]

إن الوبا قدْ غلبا
وقدْ بدا في حلبا
قالوا له على الورى
كافٌ ورا قلت: وبا

في هذين البيتين يظهر الجناس التام بين لفظتي (الوبا) و (وبا) ففي البيت الاول تعني الوباء أي المرض ، وفي البيت الثاني تأتي بمعنى حرف (الباء) إذ قام الشاعر بتبين معنى الوباء بذكر حروفه مقطعة لتجتمع في كلمة (كرب) وهذا النمط الفني الذي جاء به الشاعر أضفى على النص بعض التعقيد ، وقد جاء بشكلٍ لا يتوافق مع الحالة النفسية التي كان يعيشها الشاعر.

الجناس غير التام :

هو اختلاف اللفظين في عدد الحروف فقط[٤]، وكان لهذا النوع النسبة الكبرى في الديوان وظفهُ الشاعر لغايات صوتية ودلالية

(١) الجناس المصحف : هو ما تماثل ركناه في الحروف وتخالف في النقط ، ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع ، ١/ ٣٠ .
(٢) الديوان : ٣٤٣-٣٤٤ .
(٣) الديوان : ٩٠ .
(٤) ينظر : علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، ١٩٧ .

منه يقول :[١]

هويت أعرابية ريقها
عذب ولي فيها عذاب مذاب
رأسي بها شيبان والطرف من
نبهان والعذال فيها كلاب

حاول الشاعر في هذا النص أن يعبر عن رغبته لزيارة ممدوحه على الرغم ما يترتب عليها من مشاق فهو جانس بين (عذب ، وعذاب) ويسمى هذا النوع بجناس الاشتقاق[٢] وكذلك أستخدم أسلوب الجناس المضارع[٣] الحاصل بين اللفظين (عذاب ، مذاب) فاللفظة الاولى بدأت بحرف العين ، واللفظة الثانية بدأت بحرف الميم وهما لم يتباعدا من حيث المخرج ، إذ الاول لثوي والثاني شفوي، وهذا الجمع بين هذه الاساليب ينم على مقدرة فنيه عند الشاعر فالشاعر المبدع يستخدم الألفاظ المعبرة والموحية والدقيقة للمعاني التي يعبر عنها . ويقول[٤]

ياهندُ لي نفسٌ بكم مشغولة
سياقُها الى هواكم ساقها
يقول من يقيس بلقيس بها
آمرةً ناهية عشَّاقها

أراد الشاعر في هذا النص أن يبين حبه لمحبوبته وهو حب صادق وقد وظف الجناس بين (سياقها ، ساقها) و (يقيس ، بلقيس) ، لخدمة هذا المعنى الذي طرحه بغية تأكيده وإثباته فرسم من خلال ذلك صورة فنية تآزر فيها الجناس والكناية، في قوله : (نفس بكم مشغولة) كناية عن شدة الحب لمحبوبته .

ويقول في قصيدة[٥]

أيُّ مريض طبّه طمَّهُ
وأيُّ طرفٍ ذرهُ ضرهُ

فقد أشتمل البيت على أربع كلمات وقع فيها الجناس ، حيث جانس بين لفظتي (طبه ، طمه) و (ذره ، ضره) ففي الاولى : يشير الشاعر بها الى طب اليهود يؤدي بهلاك المسلمين ، وفي الثانية : يشير الى الطبيب اليهودي الذي قام بتكحيل عيون المسلمين ، فإنه سيضرهم ويعمي بصرهم لؤما وحقداً وأنتقاماً من المسلمين ، لذلك كان لهذه الالفاظ توازن موسيقي ، تثير أنتباه السامع، وتؤثر في المعنى .

ويقول عن وصف الطاعون[٦](وقلعَ خلقاً من القلاع ، ثم طَلَب حَلَب) يظهر الجناس بين الالفاظ (قلع ، القلاع) و (طلب، حلب) ففي

(١) الديوان : ٣٣١ .
(٢) جناس الاشتقاق : هو توافق الحروف وترتيبها وجمعها اشتقاق ، ينظر : جواهر البلاغة، ٢٢٠.
(٣) الجناس المضارع : هو أن يجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتحدة في المخرج أو المتقاربة ، ينظر : فن الجناس ، تأليف ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٣٢ .
(٤) الديوان : ٢٥٢ .
(٥) الديوان : ٢٦٥ .
(٦) الديوان : ٩٠.

الصورة الاولى : يعكس قدرة الطاعون على اختراق الأماكن المغلقة والعصية كالقلاع ، بل إن الطاعون يقتلع الناس منها قلعاً ، دلالة على شدّته وقوته ، وفي الصورة الثانية : يجانس بين أسم المدينة التي كثر فيها الطاعون وأنتشر بين أرجاؤها ، وهي مدينة حلب ، فيصور دخول الطاعون إليها باستخدام الفعل طلب وكأن الطاعون يقصدها بالذات ليعمل الخراب فيها ويدمرها . ويقول[١]

ضـــرَّة لـلـشـمـسِ والـــبـــدرِ فلو
أدركـــتْـــهـــا ضـرتـاهـا ضَـرتـاهـا
بـك يـا عـاشـقُ منـهـا تهمة
لـو أبـاحـــت لـك فـاهـا لكفاها
وســـــويـــــداؤك فـيـــهـــا غـلـــةٌ
لـــو تـــدانَـــتْ شـفـتـاهـا شفتاها
غـضَّ مـــنْ طـرفـك إنْ قـابـلْـتَـهـا
كـــل نـفـسٍ مـقـلـتـاهـا مقتلاها
ليس يـدري الأمـــنَ مَـنْ لـم يرها
ودرى مَـــنْ قـد رآهـــا قَـــدْ رآهـــا

جانس الشاعر بين بين اللفظين (ضُرتاها، وضَرتاها) وهو جناس محرف[٢] لانحراف هيئة احد اللفظين عن هيئة الآخر فالأول اسم والثاني فعل ، كما جانس بين اللفظين (فاها ، لكفاها) ونوعه جناس مطرف[٣] وهو يكون زيادة من حرفين في أوله وأيضاً جانس بين الألفاظ (شفتاها ، شفتاها) و (قد رآها ، قد رآها) وهذا ما يسمى بالجناس التام ، واخيراً بين لفظتي (مقلتاها ، مقتلاها) وهو ما يسمى بالجناس المقلوب.

* * *

(١) الديوان : ٢٩٣ .
(٢) جواهر البلاغة : ٣٢٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٣٢٨ .

المبحث الثاني
(الطباق)

اولاً : الطباق لغةً : الطبق غطاء كل شيء، والجمع أطباق ، والمطابقة : الموافقة والتطابق: الاتفاق وطابقت بين الشيئين إذ جعلتهما على حذو واحدٍ وألزقتهما ، وهذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطباقه وطابقه وطبقه[١].

أصطلاحاً : (المطابقة أو التطبيق أو التضاد أو التكافؤ ، ويقصد به الجمع بين معنيين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة)[٢].

وتظهر قيمة الطباق من خلال عنصر التضاد، وذلك لأن للتضاد القدرة على بيان المعنى وإيضاحه وإكسابه قوة وجزالة ، إذ يسهم في إيصال الصورة وتقريبها[٣].

ويعد هذا الفن من الظواهر البارزة في شعر ابن الوردي إذ يتجلى بوضوح في أغلب ديوانه فاستخدمه الشاعر في توشيح صوره الشعرية ليكسبها ثراء دلالياً ويشيع فيها حسناً وطرافه لتكون أكثر تأثيراً في نفس المتلقي وأشد وقعاً. ويتكون من أنواع ثلاثة هي : طباق الإيجاب وطباق السلب وإيهام التضاد أو ما بني على المضادة تأويلاً في المعنى[٤] ، وقد وظف الشاعر هذه الاقسام في شعره إلا أن الحظ الأوفر كان لطباق الايجاب فكان الاكثر وروداً في ديوان الشاعر فكان للشاعر الكثير من الثنائيات التضادية التي وظفها خدمة للمعاني التي توخاها. ويقول في قصيدة[٥]

ورعانا بجاههم وحمانا
بحماهُمْ وبدَّل الخوف أمنا

أمتزج في هذا النص الاقتباس مع الطباق ، يعبر الشاعر في هذا النص عن تمسكه بولائه لممدوحه ويدخل الطباق بين (الخوف ، أمنا) ليؤكد فكرته ويرسم من خلاله صورة من الحزن والفرح وما يبعثه ذلك داخل النفس من مشاعر متناقضة مستثمراً هذه الصورة لخدمة المعنى والغرض الذي توخاه الشاعر ففي جمع هذه الثنائية المتضادة أبراز قيمة ممدوحه الذي رعاهم وحماهم بكل ما أوتي من قوة فيستلهم قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا }[٦]، باللفظ والمعنى ، واظهر الشاعر قدرته وبراعته في تنشئة الطباق من أحضان الاقتباس .

(١) ينظر : لسان العرب ، ١٠/ ٢٠٩ .
(٢) أنوار الربيع في انواع البديع ، ١/ ٨٩ .
(٣) ينظر : فنون بلاغية ، ٢٧٥ .
(٤) ينظر : جواهر البلاغة ، ٣٠٣ .
(٥) الديوان : ٢٢٨ .
(٦) سورة النور : الآية (٥٥) .

ويقول في الحديث عن الطاعون[١]

(ثم سدد الرشق الى دمشق ، فتربع وتميد وفتك كل يوم بألف أو أزيد ، فأقل الكثرة، وقتل خلقاً ببترة) يظهر الطباق في لفظتي (أقل) و(الكثرة) ففي هذه الجملة القصيرة التي لا تحتوي غير هاتين الكلمتين يعكس ابن الوردي للقارئ أن اعداد الموتى الكثيرة وكأنها أضحت قليلة، وذلك بسبب كثرة أعداد الموت بين الناس . ويقول في قصيدة[٢]

أصاخَتْ الى دارِ الحديثِ وأنصتت
وكان بها عنْ سمع كفرهم وقْرُ
وكيف تخاف النقص عند كمالها
وقد صار من قاضي القضاةِ لها ذخرُ

ففي لفظتي (سمع ، ووقر) و (النقص ، وكمالها) كلمات متضادة قد أسهمت في عقد مقارنة بين حال المدرسة عندما كانت كنيسة لليهود وبعد أن أصبحت دار لتعليم الحديث .

ثانياً: المقابلة: المقابلة من المحسنات المعنوية ذات القيمة الجمالية والفاعلية التأثيرية فهي توضح المعنى وتنشط الفكر لذلك يستخدمها الشعراء لإضفاء عمق دلالي ومعنوي على أشعارهم وقد عرَّف ابن رشيق القيرواني المقابلة بقوله : (فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة)[٣]. وعرفها ابن أبي الأصبع المصري في باب صحة المقابلات بقوله : (توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني لا يخدم من ذلك شيئاً في الموافق والمخالف)[٤]. وتأتي أهمية المقابلة وذلك لرفع معنى النصوص الشعرية بنغمة موسيقية لكون المقابلة قائمة على أساس التقابل مما يخلق أيقاعاً صوتياً له أثر بالغ في المتلقي وهي في الكثير من صورها وأنواعها لها دور في خلق التناسق الموسيقي الذي يبث في الكلام موسيقى تزيد التعبير قوة والمعنى تأثيراً[٥]. وقد أدرك ابن الوردي أهمية هذا اللون البلاغي حيث نجد له نماذج شعرية كثيرة قائمة على هذا الفن رسم من خلالها صوراً تنبض بالحركة مجسداً من خلالها مشاعره وأحاسيسه ومن ذلك يقول[٦]

أأُقْتل بين جدَّكَ والمزاحِ
بنبلِ جفونك والمرضى الصحاحِ
يكدرني نواك وانت صافِ
ويسكرني هواكَ وانت صاحِ

في البيت الثاني قابل الشاعر بين (يكدرني، صاف) و (يسكرني ، صاحي) ، واراد من

(١) الديوان : ٨٨ ، وينظر : ٩٢ ، ٩٣ .
(٢) الديوان : ٢٩٥ .
(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ٢/ ١٥ .
(٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان أعجاز القرآن : ١٧٩ .
(٥) ينظر : الطبيعة في القرآن الكريم ، د. كاصد ياسر الزيدي، منشورات دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠ ، ٤٦٦-٤٦٧ .
(٦) الديوان : ٣٨١ .

خلال هذه الثنائيات المتقابلة أن يرسم صورة جميلة لمحبوبته توضيح شدة جمالها ، وبذلك فقد أجاد الشاعر في المقابلة هنا وأستطاع من خلالها أن يصل الى المعنى الذي أراده ، إذ أنّ المقابلة تعد (سبب من أسباب وفاء المعنى وتمام الغرض)[١]. ويقول[٢]

لا تعاتبْ على انقطاعي فودِّي
محرزٌ لا تخف عليه ضياعا
فوصال العدو ليسَ وصالاً
وانقطاعْ المحبِّ ليسَ انقطاعا

إن للحالة النفسية التي يمر بها الشاعر أثراً في صياغته الشعرية لذلك فأن الشاعر نجده يقابل بين (وصال ، انقطاع) و (العدو ، المحب) و (وصالاً ، انقطاعا) وهذا يدل على عنايته بالألفاظ المتقابلة التي تدل على حاله المرير ليرسم من خلالها صورة ذات عمق دلالي ومعنوي ، فالمقابلة (تظهر الفجوة الواسعة بين المعنيين المتضادين فيفيد الشاعر من ذلك ما اراد المقارنة بين حالين متباينين)[٣].

* * *

المبحث الثالث

(التضمين) لغةً : ضمن الشيءَ الشيء: أودعه إياه كما تُودع الوعاءَ المتاعَ والميت القبرَ[٤].

اصطلاحاً : هو (أن يضمن الشاعر شيئاً من شعر غيره ، قصد الاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاماً)[٥]. ويعد التضمين من الفنون المهمة التي يحتاج فيها الشاعر الى الدقة في استخدام المعاني واستعارتها وتلبيسها حتى تخفى على النقاد والشاعر الذي يقوم بهذا العمل كالصائغ الذي يذيب الذهب والفضة ويعيد صياغتها بصياغة تكون أجود من الصياغة الاولى[٦] ، وإلا كانت الابيات المضمنة أدل دلالة وأخف ثراءاً معنوياً بل قد تكون قاصرة ، والكمال في المأخوذ وليس الأّخذ . يعُدّ الموروث الادبي أحد المصادر الأساسية التي تكون ثقافة الشاعر وتمنحها الاصالة، فهو جزءُ من لغة الاديب وموروثه[٧] ، لذا فإن ابن الوردي حاول الاتكاء على ما يفجره التراث الأدبي من دلالات

(١) البديع في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ٣٦ .
(٢) الديوان : ٣٨٠ .
(٣) نحو منهج جديد في البلاغة والنقد دراسة وتطبيق: سناء حميد البياتي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ١٢٧ .
(٤) تاج العروس : ٣٥/ ٣٣٤ .
(٥) المثل السائر: ٣/ ٢٠٣ .
(٦) ينظر: عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : د. طه الحاجري ، ود. محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ٧٧-٧٨ .
(٧) ينظر: دير الملاك ، ١٨٦ .

ومشاعر تحفظ قصائده وتمنحها اداءً فنياً مكثفاً ، إذ أنه لم يقتصر في أخذه على الشعر فقط وإنما تجاوز الى الرجز والنظم العلمي ، وافادته من شعر شعراء كثيرين ومتنوعين من الجاهلية زهير بن أبي سلمى والإسلامي حسان بن ثابت، والاموي رؤبة بن العجاج ، والعباسي أبي تمام ، والمتنبي ، والمعري ، والحريري ، واليوبي بهاء زهير والاندلسي ابن زيدون ، فإننا نجد عنده تركيز على المعري ، وهو مواطنه لان كليهما قد ولدا في معرة النعمان ، وكذلك المتنبي الذي عاش في حلب فترة طويلة وايضاً الحريري وبعض شعراء الحماسة منهم ابي تمام واعجاب ابن الوردي بهما جعله يسير على هداهما ويحاول ان يسبقهما ليثبت تفوقه وشاعريته[١] ومن ذلك يقول[٢]

أيا حاتمَ الاسلامُ ودُّوا خلاصهَا
بما ملكوا فليخسؤوا «قضي الأمرُ»
وقدْ علم الاقوامُ لو أن حاتما
أرادَ ثراء المال كان لهُ وفرُ

متأثراً بقول حاتم الطائي[٣]

وقد علم الاقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر

يستحضر الشاعر الماضي الإبداعي الذي له قدرة على مد النص بجمالية، فيتأثر الشاعر في البيت الثاني تأثراً باللفظ والمعنى ، وهو يؤكد أن ابن الزملكاني مثل حاتم الطائي لو أراد المال الكثير لجمعه لكنه أراد فقط تحرير الكنيسة ، والشاعر لم يجر تعديلاً للبيت أو أضافة او حذف وإنما أورده كما هو في الشعر العربي وهذا مدعاة للنقص والقصور بل التقليد ، فالشاعر حين يضمن لابدّ له من أضافة دلالية ومعنوية للمأخوذ منه [٤] ويقول:[٥]

بسيفِ جفنيهِ قتلتُ نفسي
«فانّه ماضٍ بغير لبْس»

يضمن ابن الوردي في الغزل صدوراً وأعجازا لقصيدة (ملحة الاعراب)[٦] ، للحريري الذي بلغ عددها سبعة وستون بيتاً، فيضمن الشاعر في عجز بيته من بيت الحريري باللفظ والمعنى وذلك ليؤكد شدة هيامه بجمال المحبوبة [٧] ويقول الحريري[٨]

(١) الديوان : ٣٥ .
(٢) الديوان : ٢٩٥ .
(٣) ديوان حاتم الطائي : شرحه وقدمه له أبي صالح يحيى بن مدرك ، وضع هوامشه ، حنا نصر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ١٦٤ ، وينظر : حواشي ديوان أبن الوردي ، ٢٩٥
(٤) ينظر : توظيف الموروث في شعر زين الدين بن الوردي, ٩٤
(٥) الديوان : ٢٧١ .
(٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ٢/ ١٨١٧ .
(٧) ينظر: توظيف الموروث ,١٢١ .
(٨) تحفة الاحباب وطرائف الاصحاب : تأليف الشيخ محمد بن محمد عمر الحضري على ملحة الاعراب وسنحة الآداب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ٦ .

فكل ما يصلح فيه أمسِ
فإنه ماضٍ بغير لبس

ويقول[١]

وبي أغيدٌ من حسنِهِ البدر خائفٌ
((على نفسِهِ والنجمُ في الغرب مائلُ))

مائل متأثراً بقول المعري[٢]

وقد أغتدي والليل يبكي تأسفاً
على نفسه والنجم في الغرب مائل

أستعان الشاعر في عجز بيته السابق من قول المعري باللفظ والمعنى ، فمحبوب الشاعر فائق الجمال إذ حتى البدر والنجم خاف على نفسيهما منه[٣] ويقول[٤]

وطن يخيل لي تخيله الصبا
في ذكره ذكر الزمان الاول

إذ ضمن بيت حسان بن ثابت[٥]

لله درّ عصابة نادمتهم
يوماً بجلق في الزمان الأول

جلّي للعيان التضمين الجزئي في بيت ابن الوردي من قول حسان بن ثابت قوله : (ذكره ذكر الزمان الأول) إلا أن ابن الوردي أجرى تحويراً على بعض الالفاظ إذ حذف لفظة (جلق) وأحل (ذكره) ليتناسب مع تعبيره ، وقد أراد بيان أن لقاء حسان بهم يعكس تذكر الشاعر أيام الصبا التي قضاها في المعرة [٦] ويقول[٧]

جهادُكَ مقبول وعامك قابلُ
الا في سبيلِ المجدِ ما انت فاعلُ

ففي مطلع هذا البيت من قصيدة ابن الوردي اللامية أودع فيها شطور من قصيدة للمعري. ومطلع قصيدة المعري[٨]

عفاف واقدام وحزم ونائل
الا في سبيل المجد ما انت فاعل

ويقول[٩]

وقدْ يجمعُ اللّٰه الشتتينِ مِنَّةً
وفضلاً ورب الناس بالناس الطفُ ألطف

فقد ضمن بيته من قيس بن الملوح[١٠]

وقدْ يجمعُ اللّٰه الشتتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

نلحظ التضمين الجزئي في صدر بيت ابن الوردي من قول قيس بن الملوح قوله : (وقد جمع الله الشتتين بعدما) مع تغيير بسيط أقتصر على حذف(بعدما) ، وأحل مكانها (منةً) وذلك لبيان

(١) الديوان : ٢٤٢ .
(٢) شروح سقط الزند : أبو العلاء أحمد بن عبدالله ، أشراف طه حسين ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٦٥ه ، ٥٣٨/٢ .
(٣) ينظر : توظيف الموروث , ١٢٤ .
(٤) الديوان : ٣٢٨ .
(٥) ديوان حسان بن ثابت : تحقيق سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، القاهرة ، (ب-ط) ، ١٩٨٣م ١٢٢ ، وينظر : حواشي ديوان أبن الوردي ، ٣٢٨ .
(٦) ينظر : توظيف الموروث , ٩٨ .
(٧) الديوان : ٢٢٩ .
(٨) شروح سقط الزند : ٢/ ٥١٩ .
(٩) الديوان : ٤٠١ .
(١٠) ديوان قيس بن الملوح : تحقيق ، يسرى عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٩م ، ١٢٢ ، وينظر : حواشي ديوان أبن الوردي ، ٤٠١ .

أن اجتماعهما مرة أخرى بعد تلك الصعوبات وأراد ابن الوردي أن يؤكد أمله الكبير في عودة أبن الخشاب للعمل في حلب فهو مثل أمل قيس بلقاء محبوبته ليلى [١] ويقول[٢]

مدينةَ عزِّ الدين طبْت مدينةً
وكلُّ مكان ينبت العزَّ طيبُ
ولو كنتُ في أبوابهِ كنتُ راضياً
فلا أشتكي فيها ولا اتّعتَّبُ

متأثر بقول المتنبي[٣]

وكل أمرئ يولي الجميل محَّبٌ
وكلُّ مكان ينبتُ العزّ طيبُ

كلا الشاعرين يتحدثان عن عجزهما وتوحيده وهو المدح فكلاهما يمدحان المكان الذي أنجب به الممدوح ففي قول ابن الوردي يمدح عز الدين مشيراً إلى المكان الذي أنجبه فهو مكان طيب ومبارك ، وفي قول المتنبي يمتدح كافور الإخشيدي وقد أستطاع ابن الوردي من خلال التأثر ببيت المتنبي لتقوية الدلالة التي يريد التعبير عنها [٤] ويقول[٥]

تعبٌ كُّلها الحياة فما أعـ
جب إلا مِنْ راغبٍ في المزيد

ويتأثر ببيت المعري باللفظ والمعنى[٦]

تعب كلّها الحياة فما أعجب
إلا من راغب في ازدياد

ضمن ابن الوردي البيت السابق بلفظه ومعناه مع تغيير بسيط أقتصر على كلمة (ازدياد) وإحلال محلها كلمة (المزيد) ، وذلك لإقامة الوزن الشعري . [٧] ويقول مديحا [٨]

وربَ ساحبِ وشي من جآذرِها
وكان يرفل في ثوبٍ من الوبرِ

متأثراً بقول المعري [٩]

ورب ساحب وشي من جاذرها
وكان يرفل في ثوب من الوبر

نلحظ التضمين بشطريه للمعري بلفظه ومعناه.

* * *

(١) ينظر : توظيف الموروث , ٩٩ .
(٢) الديوان : ٣١٠ .
(٣) ديوان المتنبي : أحمد بن الحسن ، (ت : ٣٥٤ه) ، شرح العكبري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (ب-ط) ، ١٩٧٨م ، ١/ ١٨٣ .
(٤) ينظر : توظيف الموروث , ١٠٥ .
(٥) الديوان : ٣٤٦ .
(٦) شروح سقط الزند : أبو العلاء المعري ، ٣/ ٩٧٧ .
(٧) ينظر: توظيف الموروث ، ١٢٥ .
(٨) الديوان : ٣٠٣ .
(٩) شروح سقط الزند : ١ , ١٢٨ .

المبحث الرابع

(الاقتباس) لغةً : القَبَس شعلة من نارٍ تقتبسها ، من معظم ، واقتباسها الأخذ منها[١]. أصطلاحاً: هو(أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه)[٢].

وعرفه أبن حجة الحموي بقوله : (هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية ، أو آية من آيات كتاب الله خاصة ، هذا هو الاجماع)[٣]. ومن خلال متابعة ديوان ابن الوردي تبين أن الاخذ من النصوص القرآنية كان رافداً أساسياً نهل منه الشاعر في شعره ، فظهر توظيفه لكثير من الآيات القرآنية بنصها الحرفي أو لجزء منها . ومنها يقول متغزلاً[٤]

قلتُ لميٍّ أنا في حيّكمْ
ميتٌ فدتْك النفس مِنْ ميِّ
تَرينْ ماذا فيَّ؟ قالت : أرى
ما يخرجُ الميتُ مِنْ الحيِّ

يتضح من خلال قراءة البيت الثاني أن الشاعر أقتبس جزءاً من قوله تعالى : {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}[٥]، فقد أجرى تغييرات على النص القرآني من حيث التركيب النحوي قبل توظيفه في البيت الشعري باستخدام ما النافية فالملاحظ أن الشاعر أقتبس النص القرآني باللفظ دون المعنى حيث نقل المعنى من الايجاب وهو من بيده السمع والبصر ومن بيده الحياة والموت ومن يدير أمور البشر في مملكته هو الله سبحانه وتعالى بعد البعث الى السلب ليتناسب مع طلب المحبوبة منه بعدم الخروج من الحي [٦] ويقول راثياً[٧]

مرض الفؤادُ وصح ودي فيهمُ
وأقامَ تذكاري وجفني نازح
إنسان عيني كْم سهادٍ كم بكا
يا أيها الانسان إنك كادح

ففي البيت الثاني أقتبس الشاعر الآية بلفظها ومعناها قوله : {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ }[٨] ، هو سعي الأنسان جاهداً لعمل الخير أو الشر لملاقاة ربه ، وذلك يدلل على شدة معاناته وما يكابده من الألم من أجل لقاء ذلك المحبوب ، فقد أقتبس الجزء الثاني من المقطعات في عجز البيت الثاني وكأنه سياق جرى عليه شعره لاسيما في أعجاز

(١) لسان العرب : ٦ / ١٦٧ .
(٢) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : ٤/ ٦٨٨ .
(٣) خزانة الادب وغاية الارب : ٢/ ٤٥٥ .
(٤) الديوان : ٢١٧.
(٥) سورة يونس : الآية (٣١) .
(٦) ينظر : توظيف الموروث , ٢٥ .
(٧) الديوان : ٣٣٨ .
(٨) سورة الانشقاق : الآية (٦) .

البيات الشعرية كما هو ملاحظ في الابيات. وفي الهجاء يقول[١]

كم قَدْ سبا الشعراءُ زخرف مقولي

(تبتْ يدا) مِنْ ليس مِنْ أحزابي

نلحظ في هذا الشاهد من خلال قوله في الشطر الثاني من البيت ، ما يفيد الاقتباس من القرآن الكريم باللفظ والمعنى ، فهو ينظر الى قوله تعالى : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }[٢] ، ففي هذه السورة تلعن أبا لهب الذي كان يؤذي النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وامواله لن تدرأ عنه عذاب الله وسيصلي ناراً حامية هو وزوجته التي كانت كثيراً ما تحمل الحطب ، وذلك دلالة على شدة كراهيته لهؤلاء الشعراء وحقده عليهم ، موظفاً دعاء الله عز وجل ، على أبي لهب بالهلاك متمنياً ذلك لهم[٣].

ويقول راثيا[٤]

ورعانا بجاههم وحمانا

بحماهُمْ وبدَّل الخوف أمنا

وظف الشاعر أسلوب الاقتباس فأستلهم جزءاً من قوله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ}[٥]، فالمقصود بالآية هم عباد الرحمن الذي يعملون الصالحات وينفذون أوامر الله الله لذلك مكنهم في أرضه كما فعل مع من سبقهم من المؤمنين وسيثبت الله لهم دينهم الذي أختاره ويشعرهم الله با لأمن والطمأنينة بعد الخوف أما في قول الشاعر فالمقصود الممدوح الذي رعاهم وحماهم بكل ما أوتي من قوة [٦] يقول واصفاً وادي الباب وبزعا[٧]

* * *

(١) ()الديوان : ٤١٦ .
(٢) سورة المسد : الآية (١) .
(٣) ينظر : تفسير مختصر الميزان ، السيد علي عاشور ، بيروت ، لبنان ، ط١ ن ٢٠١١ ، ٦٠٣
(٤) الديوان : ٢٢٨ .
(٥) سورة النور : الآية (٥٥) .
(٦) ينظر توظيف الموروث , ٣١ .
(٧) الديوان : ٢٨١ .

المبحث الخامس

(التورية) لغةً : الستر ، وهو الشيء الخفي اليسير ، ووري عنه بصره ودفع عنه ، لأنه إذا قال وريته فكأنه يجعله وراءه حيث يظهر(١).

أصطلاحاً : هي يذكر فيها المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان ، الأول حقيقي ن والآخر مجازي الأول قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد دلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب ، فيوهم السامع أنه يريد القريب والأمر ليس كذلك وذلك سمي النوع إيهاماً(٢). إذ يعد ابن حجة الحموي من الذين أهتموا بهذا النوع من الفن ، وقيل إنه سيفرد باباً للتورية والاستخدام ، أجعلهما مصنفاً مفرداً ، يسميه (كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام)(٣). وللتورية عدّة أنواع ، هي (المجردة) التي لا تجامع شيئاً مما يلائم المعنى القريب و (المرشحة) التي تجامع المعنى القريب المورى به و(المبينة) التي ذكر منها لازم المورى عنه أو بعده و (المهيأة) التي لا تقع فيها التورية ولتتهيأ إلا باللفظ الذي قبلها أو بعدها ، أو تكون في كلا اللفظين(٤). ومن خلال استقراء ديوان الشاعر تبين أن هذا الأسلوب له حضور مشهود في شعره ، ولكننا سنتجاوز هذه التقسيمات البلاغية خوفاً من اختلاطها وضياع دلالتها وسنكتفي بإيراد التورية في معناها الحقيقي والمجازي. ومن توریاته يقول(٥)

أغيدُ عبريٌّ لهُ عمةٌ
حَكَتُ منَ العشّاقِ ألوانا
لقد سبى بالنورِ شمسَ الضحى
فهل أتى مِنْ آل عمران

السياق المهيمن على مناخ النص يحمل عناصر تتطلب من المتلقي تفعيل مخيلته للتوصل إلى ما يريد من معنى فالمدلولات (النور، الضحى ، وآل عمران) فقد جاءت التورية في كلمة (النور) حيث يشير المعنى القريب الى سورة النور وهذا المعنى غير مقصود ، أما المعنى البعيد وهو المقصود بالنور لمعان بشرة هذا الفتى من شدة بياضه فكان أتقى وأكثر لمعاناً من الشمس وقت الغروب ، وكلمة (الضحى) حيث يشير المعنى القريب الى سورة الضحى وهذا المعنى غير مقصود فالمقصود الضحى وقت

(١) ينظر : لسان العرب ، ١٥/ ٣٩٠ .
(٢) ينظر : مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب (ت١١٢٨هـ) تحقيق : د. خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٣، ٢/ ٥١٨ .
(٣) ينظر : خزانة الدب وغاية الارب : ٢/ ١٠٨ ، وينظر : أيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت:١٣٩٩هـ) تحقيق: محمد شرف الدين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ٤/ ٣٦٦ .
(٤) ينظر : المطول : ٦٥٢ .
(٥) الديوان : ٤١١ .

قبل الظهيرة وكلمة (آل عمران) المعنى القريب سورة آل عمران وهذا المعنى غير مقصود ، أما البعيد المقصود وهي عائلة آل عمران وكانت مريم فيهم والتي أنجبت عيسى (عليه السلام) أي هو من نسلهم لشدة جماله فيستوحى أسم سورة آل عمران لبيان جمال الفتى الذي أذهل بجماله حتى شمس الضحى وكأنه جاء من عائلة خاصة اصطفاها الله عز وجل وباستحضار السياق القرآني حيث قال : {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ }[١]. ويقول[٢]

قدْ كان نجم الدينِ شمساً أشرقَتْ
بحماةَ للداني بها والقاصي
عدمتْ ضياء أبنِ العديمِ فأنشدَتْ
مات المطيعُ فيا هلاكَ العاصي

فقد جاءت التورية في كلمة (العاصي) حيث يشير المعنى القريب هو الشخص المذنب والعاصي وهذا المعنى غير مقصود ، أما البعيد المقصود هو نهر العاصي[٣]

ويقول ابن الوردي أثر الثلوج في الناس وحياتهم إذ يقول[٤]

(فأصبحت العروس تتجلى بشربوش من الفضة)

فالمعنى القريب هو العروس وهذا المعنى غير مقصود ، أما المعنى البعيد المقصود هو إحدى مآذن دمشق وهو المطلوب . ويقول[٥]

(اللهم إنه فاعل بأمرك فارفع عنا الفاعل)

وجاءت التورية عند الشاعر في كلمة (الفاعل) المعنى القريب هو المصطلح النحوي بدلالة وجود أرفع وهو غير مطلوب ، أما المعنى البعيد المطلوب هو مرض الطاعون الذي يدعو الله أن يكُفّ فعله ومصائبه عن الناس . ويقول[٦]

حلبٌ والّه يُكفي
شرَّها ارضُ مشقهْ
أصبحت حيّة سوءٍ
تقتلُ الناس ببزقَهْ

أستخدم ابن الوردي في هذين البيتين عناصر الطبيعة المتحركة في صنع توريته فالتورية في لفظة (بزقه) فمعناها القريب هو بزقه الافعى وسمها وهو غير مقصود ، أما المعنى البعيد المقصود ، البصاق الذي ينتج عن مرض الطاعون ، ويكون دليل على دنوّ الاجل ، واستفحال المرض .

(١) سورة آل عمران : الآية (٣٣) .
(٢) الديوان : ٤٩٤ .
(٣) نهر العاصي : يسمى أيضاً نهر حماة، ونهر الأرند، والنهر المقلوب لجريه إلى الشمال. وأصل منبعه اللبوة ومغارة الراهب. فيكون نهرا صغيرا في قرية قرب بعلبك تسمى الرأس شمالي بعلبك في جبل لبنان. ثم يصب في بحيرة قدس. وبعد أن يخرج منها يسمى الميماس، وعند حماة يسمى العاصي. نهر الذهب في تاريخ حلب ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي (المتوفى: ١٣٥١هـ) ،دار القلم، حلب، ١٤١٩هـ،١/٣٨ ، وينظر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ١/ ٢٥١ .
(٤) الديوان : ١٨٦ .
(٥) الديوان : ٩٠ .
(٦) الديوان : ٩١ .

ويقول[١]

أنقلب الحبرُ على ثوبِكَ فابشرْ بالأدبْ
فإنَّ حبرَ كاتبٍ ربحٌ إذا هوَ أنقلبْ

تتلازم في النص صورة الجناس مع التورية ففي لفظتي (الحبر ، ربح) ، جناس يسمى الجناس المقلوب[٢]، وفي قوله : (فابشر بالأدب) تورية المعنى القريب هو التأدب والهدوء وتلزم عدم الحركة ، وهو غير مقصود ، أما المعنى البعيد المطلوب ، تصير أديباً تيمناً بالحبر . ويقول[٣] (ثم طلق الكنة في حماة ، فبردت أطراف عاصيها من حماة)

ورى ابن الوردي (عاصيها) المعنى القريب غير المقصود هو زوجة الابن التي تعصي حماها، أما البعيد هو نهر العاصي وهو المطلوب . ويقول[٤]

هُم الخفراءُ كْم عينٍ وقلب رَمَوْها بالغريقِ وبالحريقِ
تراهم جالسين على طريقٍ وهْم قومٌ على غيرِ الطريقِ

تتآزر في النص التورية مع الجناس ، ففي لفظتي (الغريق ، الحريق) جناس غير تام ، وفي كلمة (الطريق) تورية المعنى القريب غير المقصود ، الطريق الذي نسير عليه ، أما المعنى البعيد المطلوب ، يقصد به منهجه وقبله. ويقول[٥]

فأرسلْ له الدينار فهْوَ طبيبُهُ ومِنْ عجبِ الدنيا طبيبٌ مصفَّرُ

ففي قوله : (طبيب مصفر) ، تورية المعنى القريب غير المقصود هو الطبيب المعالج أما المعنى البعيد المطلوب ، فهو الدينار. ويقول[٦]

يقولِ أرمدُ عينٍ حلوُ الجنى والتجنّي إن كَلَّ سيفُ جفوني فذا عذاري مِسنيِّ

في لفظة (جفوني) تورية المعنى القريب غير المقصود هو البعد ، أما المعنى البعيد المقصود هو جفن السيف. ويقول[٧]

ومليحٍ إذا النحاةُ رأَوْهُ فَضَّلوهُ على بديعِ الزمان برضابٍ عن المبّرد يروي ونهودٍ تَروي عن الرماني

ففي النص توريتان : الأولى في لفظة (المبرد) المعنى القريب غير المقصود هو الاسنان أما المعنى البعيد المطلوب هو العالم المبرد ، وفي للفظة الثانية (الرماني) المعنى القريب غير

(١) الديوان : ٢٠٣ .
(٢) ينظر : شرح الكافية البديعية ، ٦٧ .
(٣) الديوان : ٨٩ .
(٤) الديوان : ٢٥٣ .
(٥) الديوان : ٢١٦ .
(٦) الديوان : ١٩٣ .
(٧) الديوان : ١٩٤ .

المقصود هو الصدر أما المعنى المقصود هو العالم الرماني . ويقول[١]

قـدْ أزمـــنَ الـلّٰـه كـافـوراً وعـاقـبـهُ
هـذا بـذاك ولا عُتبـي عـلـى الـزمـن

فاستعملوا المسك في عِرسِ السرورِ بهِ السرور
به فالمسكُ للعرسِ والكافور للكفن

فقد جاءت التورية في لفظة (كافوراً) المعنى القريب غير المقصود هو الكافور المعروف الذي يغتسل به ، أما المعنى البعيد وهو المطلوب والمراد به هو كافور الاخشيدي حاكم مصر . ويقول[٢]

أنـا فـي الـحـبِّ قـانـعٌ بـاليـسيـرِ
بـخـيـالٍ يـــزورُ او وعـــدِ زورِ
مـا لـهـنـدٍ أذا طـلـبـتُ رضـاهـا
فـاجـأتـنـي بـنـفـثـةِ الـمـصـدورِ

فقد جاءت التورية ، في قوله : (وعد زور) حيث يشير المعنى القريب غير المقصود الى وعد باطل ، والمعنى البعيد المطلوب هو وعد بالزيارة. ويقول[٣] (صادٍ من تلك العين ولكن نقص علي منظرها الحسن تذكر ظمأ الحسين) ففي لفظة (الحسن) حيث يشير المعنى القريب الى الحسن بن الإمام علي(عليه السلام) وهو غير مقصود ، أما المعنى البعيد المطلوب هو الحسن والجمال. ويقول[٤]

(عين كعين الخنساء تجري على صخر ويقول ماؤها أنا سيد)

في لفظة (صخر) تورية المعنى القريب غير المقصود، هو أخو الخنساء ، أما البعيد وهو المطلوب الحجر الصلب .

* * *

(١) الديوان : ٢١٠-٢١١ .
(٢) الديوان : ٢١٧ .
(٣) الديوان : ١٩ .
(٤) الديوان : ١٩ .

المحسن البديعي عنصر أساسي في تشكيل صوره الشعرية .

الخاتمة

بعد عملية إدخال شعر ابن الوردي في مجرى القنوات البلاغية وما توافر من علائق بلاغية في خطابه الشعري نشرع الآن بتسجيل ما أفرزه البحث وسجله من نتائج :

١. وكانت الفنون البديعية قد هيمنت على مساحة غير قليلة في ديوان ابن الوردي وقد أظهر الجناس وظيفة صوتية، ودلالية في شعره؛ وكان انتشار الجناس غير التام أكثر من انتشار التام؛ لأنه يتيح قدراً من الحرية، ومرونة التشكيل فيه ولم يكن الجناس لديه زخرفاً لفظياً، أو حلية زائدة.

٢. كثرة الصور التضادية بصورة واضحة وتأتي هيمنتها في ديوانه بعد الجناس ولهذا الجمع من المتضادات أهمية لتكثيف المعنى وتعمق الدلالة وخاصة في النصوص الفلسفية وبشكل يحقق التأثير الجمالي، والفني للمتلقي.

٣. ضمن بن الوردي لكثير من الشعراء في العصور السابقة فهو شاعر ذو ثقافة كبيرة استغلها في شعره وبنى عليها معانيه .

٤. لقرآن الكريم أثرٌ واضحٌ في شعرهِ، وقد لجأ إلى الاقتباس؛ ليكون رافداً في إثراء لغتهِ وافكارهِ ومعانيه التي تناولها في شعرهِ .

٥. وظّفَ الشاعر التورية في شعرهِ لخدمة أغراضهِ ومعانيه التي توخاها، إذ كان لهذا

* * *

المصادر والمراجع

١. الاعلام ، خير الدين بن محمود ، بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) الناشر ، دار العلم للملايين ، ط٢، ٢٠٠٢ .

٢. أنوار الربيع في أنواع البديع ، صدر الدين المدني(ت: ١١١٩هـ) .

٣. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الضنون ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت:١٣٩٩هـ) تحقيق: محمد شرف الدين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٤. الايضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني(ت: ٧٣٩هـ) ، تحقيق ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ،ط٣ (د. ت) .

٥. البديع ، عبدالله بن المعتز (ت : ٢٩٦هـ) نشر وتعليق ، اغناطيوس كراتشقوفسكي دار المسيرة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م .

٦. البديع في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٧. بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧، ٢٠٠٥م .

٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تأليف ، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، لبنان صيدا (ب-ت) .

٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، المؤلف: شمس الدين الذهبي (ت:٧٤٨هـ) المحقق : د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ،ط١، ٢٠٠٣م

١٠. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان أعجاز القرآن أبن أبي الأصبع المصري (ت: ٩٥٤هـ) تحقيق ، حنفي محمد شرف ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

١١. تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، المؤلف ، زين الدين الوردي ، تحقيق محمد مزعل خلاطي، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨ .

١٢. تحفة الاحباب وطرائف الاصحاب ، تأليف الشيخ محمد بن محمد عمر الحضري على ملحة الاعراب وسنحة الآداب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦م .

١٣. تفسير مختصر الميزان ، السيد علي عاشور ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١١ .

١٤. توظيف الموروث في شعر زين الدين بن الوردي ، مها أحمد طربوش ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين ، ٢٠١٣ .

١٥. جنان الجناس في علم البديع ، صلاح الدين الصفدي ، مطبعة الجوائب قسطنطينية ، ط١ ١٩٩٧م .

١٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتحقيق ، د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت.

١٧. خزانة الادب وغاية الارب ، ابن حجة الحموي ، (ت:٨٣٧هـ) ، تحقيق ، عصام شقيو دار ومكتبة الهلال ،بيروت ، دار البحار بيروت ،م٢٠٠٤ .

١٨. دراسات بلاغية ونقدية ، أحمد مطلوب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

١٩. دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، د. محسن أطيمش ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .

٢٠. ديوان ابن الوردي ،تأليف ، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر الوردي ، تحقيق، د. أحمد فوزي الهيب ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٠م .

٢١. ديوان المتنبي ، أحمد بن الحسن ، (ت : ٣٥٤هـ) ، شرح العكبري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (ب-ط) ، ١٩٧٨م .

٢٢. ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، القاهرة ، (ب-ط) ، ١٩٨٣م .

٢٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المؤلف: عبد لحي بن محمد بن العماد العكري الحنبلي(ت:١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير دمشق بيروت ،ط١، ١٩٨٦ .

٢٤. شروح سقط الزند ، أبو العلاء أحمد بن عبدالله ، أشراف طه حسين ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م .

٢٥. شروح سقط الزند ، أبو العلاء أحمد بن عبدالله ، أشراف طه حسين ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م .

٢٦. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد حلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ .

٢٧. الطبيعة في القرآن الكريم ، د. كاصد ياسر الزيدي ، منشورات دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠م .

٢٨. علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية , بيروت ، ١٩٨٥م .

٢٩. عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : د. طه الحاجري ، ود. محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٣٠. فوات الوفيات ،صلاح الدين الصفدي،(ت:٧٤٦هـ)المحقق: إحسان

عباس، دار صادر بيروت .
٣١. كتاب الصناعتين ، أبوهلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) تحقيق، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية ، بيروت ،١٤١٩م .
٣٢. لدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) المحقق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط٢، ١٩٧٢م
٣٣. لسان العرب، المؤلف، أبن منظور الانصاري الافريقي (ت:٧١١هـ)، دار صادر،بيروت،ط٣، ١٤١٤هـ .
٣٤. معجم الشيوخ ، المؤلف ، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي ،(ت:٧٧١هـ) تحقيق، د. بشار عواد ، وآخرون ، دار الغرب الاسلامي ، ط١، ٢٠٠٤ .
٣٥. معجم المفسرين ، (من صدر الاسلام وحتى العصر الحاضر) المؤلف ، عادل نويهض ، تحقيق، حسن خالد ، الناشر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة ، بيروت ،لبنان ، ط٣، ١٩٨٨م .
٣٦. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب (ت١١٢٨هـ) تحقيق ، د. خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٣ .
٣٧. نحو منهج جديد في البلاغة والنقد دراسة وتطبيق ، سناء حميد البياتي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٨م .
٣٨. وفيات الاعيان وانباء انباء الزمان ،المؤلف: ابن خلكان الاربلي (ت:٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس ،دار صادر، بيروت ،ط١ ، ١٩٧٢م.

* * *